The Quarterly Journal of Lisān-i mubīn
(*Research in Arabic language and literature*)
Print ISSN: 2355-8002
Online ISSN: 2676-3516

A Critical Discourse Analysis of Mu‘allaqat Based on Van Dyke's Social Cognitive Theory(Case Study: Omar and Harith Suspensions as model)

Mohammad Hassan Amraei

Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Velayat University, Iranshahr, Iran

Article Info

Article type:
Research Article

Received:
05/04/2021
Accepted:
19/06/2021

ABSTRACT

Critical discourse analysis is a new approach to discourse analysis that has been used in recent decades in a wide range of research in the fields of literature and psychology. It is also considered as one of the new trends in linguistics, which reveals the ideological views of the author by infiltrating the substrates and superstructures of texts at all their micro and macro levels and explains the relationship between language, authority and ideology. Although the critical discourse analysis approach prioritizes the relationship between language, power, ideology and discourse, nations' literature can also be analyzed and interpreted in the context of critical discourse and linguistic criticism. In the same respect, the Seven Pendants are among the works that can be studied in the context of critical discourse analysis. It allows the analyst to uncover the relationship between power, ideology, and discourse in this work. Van Dyck's theory is a sociocognitive model that critically analyzes texts and uses various methods to study text and speech strategies and their relationship to social and political spheres. In the same context, the purpose of this article is a socio-cognitive analysis of the comments of Amr and Al-Harith by relying on Van Dyck's ideological quadrant in discourse analysis that examines the subject of the commentators from the perspective of affirming the ego (the self) and marginalizing the other (the censor) Both poets sought to assert their collective honor and prove their tribal dominance over the censor. The final conclusion shows that highlighting the positive points of the ego in both comments has a high frequency compared to highlighting the negative points of the other. Both Amr and Al-Harith were able, through their accompaniment to some linguistic units, to give an acceptable semantic and verbal consistency to the discourse system. Therefore, by emphasizing the meaning of these units, they create a special objective and linguistic unity.

Key words: critical discourse analysis, Van Dijk, Highlightingu, marginalization,

Cite this article: Amraei ,Mohammad Hassan *(2022).* A Critical Discourse Analysis of Mu‘allaqat Based on Van Dyke's Social Cognitive Theory (Case Study: Omar and Harith Suspensions as model), *Vol. 13, New Series, No.47, Spring 2022*: pages:1-23.

DOI: 10.30479/lm.2021.15332.3231

© The Author(s).
Publisher: Imam Khomeini International University

***Corresponding Author**: Mohammad Hassan Amraei
Address: Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Velayat University, Iranshahr, Iran
E-mail: *m.amraei@Velayat.ac.ir*

فصليّة لسان مبين العلمية

(بحوث في اللغة العربية و آدابها)

الترقيم الدولي الموحد للطباعه : ۸۰۰۲-۲۳۵۵

الترقيم الدولي الالكترونيكي: ۲۶۷۶-۳۵۱۶

تحليل الخطاب النقدي للمعلقات السبع وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (معلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة أنموذجًا)*

محمدحسن أمرائي *[1]

[1]*أستاذ مساعد في اللّغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، إيرانشهر، إيران.

معلومات المقالة الملخّص

نوع المادة:
مقاله محكمة

تاريخ الوصول:
۱۴۰۰/۰۱/۱۶

تاريخ القبول:
۱۴۰۰/۰۳/۲۹

إنّ تحليل الخطاب النقدي هو مقاربة جديدة في تحليل الخطاب تم استخدامه في العقود الأخيرة في مجموعة واسعة من الأبحاث في مجالات الأدب وعلم النفس. كما يُعَدُّ من الاتجاهات الجديدة في علم اللغة، والذي يكشف عن وجهات النظر الأيديولوجية للمؤلف عن طريق التسلل إلى الطبقات التحتية والفوقية للنصوص على جميع مستوياتها الجزئية والكليّة ويفسر العلاقة بين اللغة والسلطة والأيديولوجيا. على الرغم من أنّ منهج تحليل الخطاب النقدي يعطي الأولوية للعلاقة بين اللغة والسلطة والأيديولوجيا والخطاب، يمكن أيضًا تحليل أدب الأمم وتفسيره في سياق الخطاب النقدي والنقد اللغوي. في المجال ذاته، تُعَدُّ المعلقات السبع من الأعمال التي تمكن دراستها في سياق تحليل الخطاب النقدي؛ حيث يسمح للمحلل بالكشف عن العلاقة بين السلطة والأيديولوجيا والخطاب في هذا العمل. إنّ نظرية فان دايك هي نموذج اجتماعي معرفي يقوم بتحليل النصوص بشكل نقدي وتستخدم فيه أساليب مختلفة لدراسة استراتيجيات النص والكلام وعلاقتها بالمجالات الاجتماعية والسياسية. في السياق ذاته، إنّ الغرض من هذا المقال هو التحليل الاجتماعي المعرفي لمعلقتي عمرو والحارث من خلال الاعتماد على المربع الأيديولوجي لفان دايك في تحليل الخطاب الذي يفحص موضوع المعلقتين من منظور التأكيد على الأنا (الذات) وتهميش الآخر (الرقيب)؛ حيث سعى كل من الشاعرين لتأكيد شرفه الجماعي وإثبات هيمنته القبليّة على الرقيب. ويظهر الاستنتاج النهائي أنّ إبراز النقاط الإيجابية للأنا في كلتا المعلقتين له تردد عالٍ بالمقارنة مع إبراز النقاط السلبية للآخر. وتمكن كل من عمرو والحارث من خلال مرافقتهما لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب. لذلك، من خلال التأكيد على معنى هذه الوحدات، أوجدوا وحدة موضوعية ولغوية خاصة.

كلمات مفتاحية: تحليل الخطاب النقدي، فان دايك، الإبراز، التهميش، المعلقات، عمرو، الحارث.

الاقتباس: أمرائي، محمدحسن (۱۴۰۱). تحليل الخطاب النقدي للمعلقات السبع وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (معلقتا عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة أنموذجًا)، مقاله محكمة، السنة الثالثة، الدورة الجديدة، العدد السابع والأربعون ، ربيع۱۴۰۱: ۲۳-۱

المعرف الرقمي: 10.30479/lm.2021.15332.3231

الناشر: جامعة الإمام الخميني الدولية

حقوق التأليف والنشر © المؤلفون.

*- عنوان بريدالكاتب الإلكتروني: *m.amraei@Velayat.ac.ir*

١. المقدمة

إن اللغة، بصفتها أروع قدرة للإنسان، تميزه عن غيره من الكائنات وتوفر أسبابًا للتوغل في أعماق الآخرين والتأثير عليهم. يمكن قوله إن مناقشة اللغة باعتبارها أكثر الخصائص الفريدة للإنسان لها تاريخ طويل. واليوم، يهتم العديد من اللغويين بفهم المجال الوظيفي للغة. إن هم يعتقدون أنه من أجل تحقيق وظائف اللغة في سياقات مختلفة، يجب أولاً فحص خطاب تلك اللغة. يعتقد فان دايك أنه من خلال إبراز النقاط الإيجابية لأنا والنقاط السلبية للآخر وتهميش النقاط السلبية لأنا والنقاط الإيجابية للآخر، يمكن للمرء أن يتغلغل في النظام الفكري للأفراد (Van Dijk, 2006: 121). وهو يفسر هذه السمات الأربع للخطاب على أنها مربعات أيديولوجية (Van Dijk, 2000: 44) ويصنفها على مستويات مختلفة. يعبر فان دايك، كأحد أبرز المنظرين في مجال تحليل الخطاب النقدي، عن نظرية المربع الأيديولوجي عبر التركيز على أن النظرة الأيديولوجية للعالم يمكن تمثيلها باللغة. يتكون هذا المربع الأيديولوجي من أربعة جوانب وهي: التأكيد على الشخصية الإيجابية للأنا، والتأكيد على الشخصية السلبية للآخر، والتقليل من الميزات السلبية للأنا، والتقليل من الميزات الإيجابية للآخر؛ بحيث يسلط الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب في المجتمعات. في المجال ذاته، إحدى الظواهر الأدبية للغة العربية في العصر الجاهلي هي المفاخرات الشعرية في الشعر العربي و«هي محاورة كلامية بين اثنين أو أكثر وفيها يتباهى كل من المتفاخرين بالأحساب والأنساب ويشيدون بما له من خصال وما قام به من جلائل الأعمال» (الجندي، ١٩٩١م: ٢٦٣)؛ حيث يحاول الشاعر إبراز هويته باستخدام تراكيب لغوية مختلفة بنبرة فخرية ومبالغ فيها. تمكننا رؤية مثل هذا الهيكل في نظام معلقات عمرو والحارث الفخرية التي باتت ناتجة عن صراعات داخلية بين قبيلتين بكر وتغلب. فمن هذا المنطلق، يعتزم المؤلف تحليل المعلقتين، استنادًا إلى مربع فان دايك الأيديولوجي (٢٠٠٣م) ليكشف عن كيفية تمثيل أيديولوجية الشاعرين الجاهليين المرموقين في السياق الداخلي والخارجي للنص ومعرفة طبقات النص التحتية والفوقية بشكل أعمق. والسؤالات الرئيسة التي تطرح في هذا البحث هي:

- إلى أي مدى تمكنت المعلقتان الفخريتان من إبراز هوية الأنا (الذات) على مستوى الخطاب في مواجهة هوية الرقيب (الآخر)؟
- ما هي أبرز مظاهر إبراز هوية الشاعر (الأنا) على مستوى الخطاب ضد هوية الرقيب (الآخر)؟
- أي مستوى من مستويات خطاب فان دايك فعال في إبراز وتهميش خطاب هاتين المعلقتين؟

١-١. خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة لكتاب العرب ونقادهم حول المعلقات السبع، ولا سيما معلقتا عمرو والحارث في شكل المقالات والكتب والأطروحات الجامعية، ومنها:

١. «بررسي ساختار دراماتيك شعر جاهلي (با تكيه بر معلقات سبع و دو قصيده از شاعران صعاليك) » وفي هذا المقال الذي طبع في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد٣٢، خريف ١٣٩٣ش، قام الباحثان عباس اقبالي وراضيه نظري بتحليل بعض قصائد الجاهلية ووصلا إلى أن شعر الجاهلية يعتبر مرآة لثقافة الجاهلية من أكثر أنواع الأدب الدرامي أصالة.

٢. «دراسة أسلوبية إحصائية للمعلقات السبع في ضوء معادلة بوزيمان معلقة عمرو والحارث أنموذجا» لمحمدحسن أمرائي (١٣٩٩ش). انتشر هذا المقال في مجلة بحوث في للغة العربية وآدابها المحكّمة التابعة لجامعة أصفهان، العدد٢٣، الشتاء ١٣٩٩ش ويهدف إلى دراسة المعلقتين الفخريتين، على أساس معادلة بوزيمان دراسة أسلوبية إحصائية، مبينا مدى أدبيتهما وانفعاليتهما الأسلوبية.

۳. «أثر شعر عمرو في قصيدة الفخر في الشعر العربي القديم» مقال للباحث تغريد حسن أحمد عبد العاطي نشر في مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة بنها، العدد ٤٠، أبريل ٢٠١٥م. يهدف هذا المقال إلى دراسة شعر عمرو كاملا وعدم الاقتصار على المعلقة وحدها، كما يهدف إلى التدليل على ريادة عمرو في قصيدة الفخر العربية نظريا.

٤. «قراءة سيميائية في معلقة عمرو» غيثاء علي قادرة (٢٠١٩م) منشورة في مجله جامعة البعث، السنة ٢٠١٩ – العدد ٧٩. هدف المقال هذا إلى فتح مغاليق العلامات، والتعرف إلى رموز الإشارات في المعلقة، وصولا إلى ما تضمره العلامات من أنساق ثقافية تشي برؤى الذات الشاعرة المبنية على أفكار وثقافات.

٥. «مكونات البيئة في العصر الجاهلي –دراسة أنثروبولوجية، معلقة الحارث أنموذجًا» مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستر في ميدان اللغة والأدب العربي للباحث عامر مفاز (٢٠١٥-٢٠١٦م) نشرت في جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي- ودرس الباحث نصوصا شعرية في معلقة الحارث حيث تتجلى وتبرز من ثناياها عناصر هذه البيئة وحضورها في معلقته.

وغيرها من البحوث الآكاديمية القيمة التي لا مجال لذكرها. ولكن فيما يتعلق بالبحث، لا توجد دراسة حول تحليل الخطاب النقدي للمعلقات السبع وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (معلقتا عمرو والحارث أنموذجا) – في حدود ما نعلم –؛ لذلك، تعدّ هذه الدراسة من الدراسات الأسلوبية المفيدة للقراء؛ إذ إنّها تكشف عن خطاب الشاعرين ومكوناتها الخاصة والعامة وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (٢٠٠٣م).

٢. الإطار النظري للبحث

٢-١. مقاربة تئون فان دايك

يؤكد فان دايك في التحليل النقدي للخطاب على دور المعرفة والتواصل والتفاعل الاجتماعي عبر إقامة صلة بين المفاهيم الثلاثة للخطاب والمعرفة والمجتمع؛ حيث ابتكر مزيجًا أصبح أساسًا للنهج الاجتماعي المعرفي. يشير فان دايك إلى الخطاب هنا على أنه المعنى العام لحدث الاتصال، مثل التواصل وجهًا لوجه، والنصوص المكتوبة، والإيماءات، وحركات اليد والرأس والجسم، والصور، والترقيم، والجوانب السيميائية المتعلقة بالعلامات الدلالية (سلطاني، ١٣٨٤ش: ٥٩). يعتبر فان دايك أن استخدام اللغة، والتواصل بين المعتقدات أو المعرفة، والتفاعل في المواقف الاجتماعية في النهاية هو الأبعاد الثلاثة الرئيسة للخطاب. إنّه يعتقد أن استخدام اللغة لا يقتصر على اللغة الشفوية والمنطوقة، بل يمكن أن يمتد أيضًا إلى التواصل والتفاعل واللغة المكتوبة. على سبيل المثال، عندما نقرأ الصحف أو الكتب أو أنواعًا أخرى من النصوص المكتوبة يحدث هذا الاستخدام للغة. فمن هذا المنطلق، إنّ فان دايك، على غرار العديد من منظري الخطاب، لم يقتصر على اللغة العامية فحسب، بل أولى اهتمامًا خاصًا للنصوص المكتوبة في سياق الخطاب. إذ يعتقد أن هناك العديد من أوجه التشابه بين طريقة كتابة الناس وتحدثهم، وينطبق الشيء نفسه على الاستماع إلى النصوص المنطوقة أو قراءة النصوص المكتوبة (يراجع: فان دايك، ١٣٨٢ش: ١٨).

٢-٢.مربع فان دايك الأيديولوجي

إنّ العنوان الذي يعتبره فان دايك لمقاربته هو "تحليل الخطاب الاجتماعي المعرفي"؛ حيث يولي أهمية كبيرة إلى دراسة المعرفة في تحليل الخطاب النقدي ويقترح في منهجه، مثلث "المجتمع والمعرفة والخطاب". وفي هذا المثلث، يعني الخطاب أنه حدث اتصال يتضمن تفاعلات محادثة ونصوص مكتوبة بالإضافة إلى حركات اليد وتعبيرات الوجه والتصاميم المطبوعة والصور وأي دلالات وتمثيلات أو رسوم توضيحية رمزية أو متعددة الوسائط. لذلك فهو يشمل الأفكار والأهداف والتقييمات والمشاعر والسلوكيات وجميع التمثيلات العقلية (ون دايك، ٢٠٠١ :٩٩-٩٩). يعتمد المربع الأيديولوجي لفان دايك على أربع ركائز يستخدمها مؤيدو الأيديولوجية على مستويات مختلفة. هذه الأركان الأربعة هي:

- التعبير عن المعلومات الإيجابية للأنا والتأكيد عليها.
- التعبير عن المعلومات السلبية للآخر والتأكيد عليها.
- التستر على المعلومات الإيجابية للآخر والتأكيد عليها.
- التستر على المعلومات السلبية للأنا وعدم التأكيد عليها

يوضح المربع الأيديولوجي كيف تخلق المجموعات الاجتماعية صورة أيديولوجية عن نفسها والآخرين من خلال إبراز النقاط الإيجابية لأنفسهم والسلبية للآخرين وأيضًا من خلال تهميش النقاط السلبية لأنفسهم والإيجابية للآخرين وغيرهم (٨٣: Van Dijk,2001). إن دراسة معلقتي عمرو والحارث الفخريتين على أساس أسلوب تحليل الخطاب النقدي بإمكانها أن تكشف عن الزوايا الخفية للنص وأيديولوجية الشاعرين في تأليف قصيدتيهما الفخريتين بالاعتماد على العوامل والآليات اللغوية. ومن خلال تحليل المربع الأيديولوجي لهاتين المعلقتين، يتم شرح سبب إنتاج النص فيما يتعلق بالعوامل السوسيولوجية والتاريخية والاجتماعية. بعد ذلك يرتفع التحليل من مستوى وصف النص للمعلقتين إلى مستوى التفسير، ومن حيث نطاق البحث يتسع نطاق التحليل إلى المستوى الكلي أي المجتمع والتاريخ والأيديولوجيا. وهكذا يخلق نظامًا من الإبرازات والتهميشات؛ يوضحه الرسم البياني التالي:

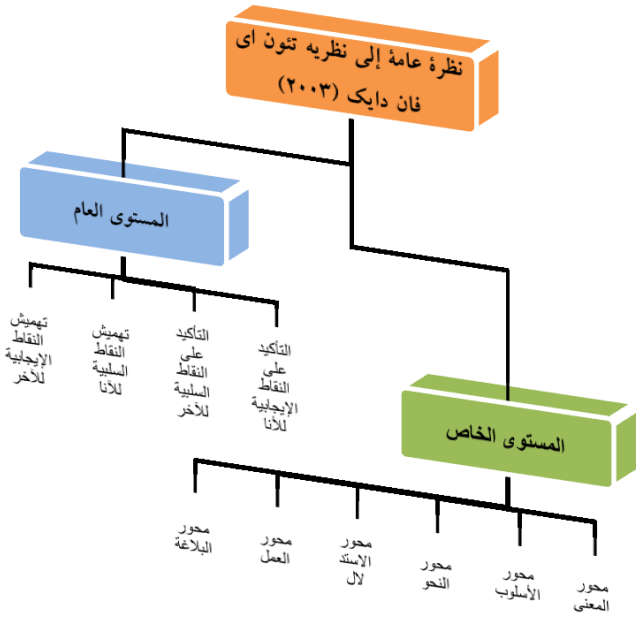

٣. الإطار التطبيقي للبحث

ههنا نتطرّق إلى المستوى العام للخطاب في المعلقتين:

٣-١. تسليط الضوء على النقاط الإيجابية الخاصة بالأنا والقبيلة التي ينتمي إليها

إنّ مشهد تنافس شاعري عصر الجاهلية عمرو والحارث، يرمز إلى معارضة تيارين وأيديولوجيين يدعيان كل منهما الهيمنة في خطابهما. وهذا المشهد الشعري يعتبر مواجهة لهاتين الشخصيتين المرموقتين واصطفافهما ضد بعضهما البعض يوم التقاضي

بين يدي عمرو بن هند؛ حيث يسعى كل طرف منهما إلى إضفاء الشرعية على فكره وأيديولوجيه الخاص. في المجال ذاته، إنّ المربع الأيديولوجي يسلط الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب بين الأنا والآخر. وبما أنّ عمرو يعرف أن قوته هي المكانة الاجتماعية لقبيلته، فبالتالي يبرز النقاط الإيجابية لقبيلته وينوي بها التفريق بين هويته الغالبة وهوية الرقيب:

فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمٍ بِنْ بَكْرٍ ... بِنَقْصٍ فِي خُطُوْبِ الأَوَّلِيْنَا
وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بِنْ سَيْفٍ ... أَبَاحَ لَنَا حُصُوْنَ المَجْدِ دِيْنَا
وَرَثْتُ مُهَلْهِلاً وَالخَيْرَ مِنْهُ ... زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِيْنَا
وَعَتَّاباً وَكُلْثُوْماً جَمِيْعاً ... بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِيْنَا
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلَيْبٌ ... فَأَيُّ المَجْدِ إِلاَّ قَدْ وَلِيْنَا

(عمرو، ۱۹۹۱م: ۷۷)

ومن ناحية أخرى، فإن الحارث، إذ يدرك أساليب إعادة إنتاج الهيمنة في الخطاب، يمارس عملية إنتاج ومعرفة الخطاب في آن واحد عبر التأكيد على نقاطه الإيجابية. فبالتالي تدخل هيمنة اللغة وتؤثر على الهياكل اللغوية ومع عملية فهم الخطاب، فإنه يؤثر على هيمنة عقول المخاطبين (Van Dijk, 2002: 110). إذن فالحارث يحاول التعبير عن نقاط ضعف التغلبيين وإخفاقاتهم وكشف الستار عن ماضيهم المفعم بالانكسارات بكل ما يحمل من تفاصيل محتجا بالحوادث والبراهين التاريخية الدقيقة، مذكرا شيئاً من مفاخر البكريين، قائلا:

إِن نَبَشْتُم مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَالـ ... ـصَاقِبِ فِيهِ الأَمْوَاتُ وَالأَحْيَاءُ
أَو نَقَشْتُم فَالنَّقْشُ يَجْشَمُهُ ... النَّاسُ وَفِيهِ الإِسْقَامُ وَالإِبْرَاءُ
هَل عَلِمْتُم أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّاسُ ... غِوَاراً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
لا يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَلَدِ السَهـ ... ـلِ وَلا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النِجَاءُ
لَيْسَ يُنْجِي الذِي يُوَائِلُ مِنَّا ... رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلاء

(الحارث، ۱۹۹۱م: ۲۸-۲۷)

يشير الحارث إلى الحروب التاريخية الحادثة بين قبيلتي بكر وتغلب والموتى والمقابر في هذه الأماكن التاريخية الموسومة بالملحة والصاقب، ويحتج بأنه إن بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبينهم في هذين الموضعين وذكرتم الأموات الذين قتلوا في هذين الموضعين والأحياء الذين أسروا وجرحوا فلنا الفضل عليهم. ثم يخاطب التغلبيين فيقول ألا تتذكرون غنائنا في الحروب في تلك الأيام الغابرة التي كان يهاجم فيها الناس بعضهم البعض ويضجّون ويصرخون عما حدث لهم من الهجوم والغارة. ونحن هزمنا اللصوص والقبائل الطاغية وطاردناها؛ حيث إنّ الشر كان شاملا عاما لم يسلم منه العزيز ولا الذليل ولم ينج الهارب منا بفضل تحصنه بالجبل ولا بالحرة الغليظة الشديدة.

۳-۲. تسليط الضوء على النقاط السلبية للآخر

إن عمرو فضلا عن التأكيد على النقاط الإيجابية لقبيلته، يحاول ضمنيًا إبراز النقاط السلبية للحارث وقبيلته. فيناديهم (يا بني بكر) محذرا إياهم بألا تحلم بالمساواة معهم في الكبرياء والعظمة. ثم يتسائل عنهم على سبيل الاستفهام الإنكاري التقريري: ألستم متأكدين من شجاعتنا وروحنا القتالية؟ وهو يتوخى التركيز على عرفانهم بشجاعة التغلبيين وأنفهم وعزة نفسهم بحيث لا يمكن تجاهلها:

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا اليَقِينَا
أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كَتَائِبَ يَطّعِنَّ وَيَرْتَمِينَا
بِأَنَّا المُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَّا المُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِينَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٤)

فيسبق الحارث بما ساقه في قصيدته من وقائع وحروب يعير بها التغلبيين فيعيرهم بقتل اللصوص لهم حين لاقوهم وكان ظن تغلب أنهم ممنعون لا يقدر عليهم أحد فتمنوا لقاء اللصوص وتحققت الأمنية في اللقاء ولم تتحقق في النصر. يقول الحارث:

فَتَأَوَّت لَهُ قَرَاضِبَةٌ مِن كُلِّ حَيٍّ كَأَنَّهُم أَلقَاءُ
فَهَداهُم بِالأَسْوَدَينِ وأَمرُ اللهِ بَالِغٌ تَشقَى بِهِ الأَشقِيَاءُ
إذ تَمَنَّونَهُم غُرُوراً فَسَاقَتهُم إِلَيكُم أُمنِيَّةٌ أَشرَاءُ
لَم يَغُرّوكُم غُرُوراً وَلَكن رَفَعَ الآلُ شَخصَهُم وَالضَحَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣١)

كما يعيرهم بهزيمتهم من تميم وغيرها ويسخر من تغلب ويلمح إلى أنّهم يطلبون الثأر في بكر من كل من هزمهم وقتل منهم، معددا تلك الوقائع التي هزمت فيها تغلب، فيقول:

فَاتْرُكُوا الطَيخَ والتَعَاشِي وَإِمّا تَتَعَاشَوا فَفِي التَعَاشِي الدّاءُ
أَعَلَينَا جُنَاحُ كِندَةَ أَن يَغنَمَ غَازِيهُم وَمِنّا الجَزَاءُ
أَم عَلَينَا جَرّى إِيَادٍ كَمَا نِيطَ بِجَوزِ المُحَمّلِ الأَعبَاءُ
لَيسَ منّا المُضَرّبُونَ وَلا قَيسٌ وَلا جَندَلٌ وَلا الحَذّاءُ
أَم جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنّا مِنكُم إِن غَدَرتُم بُرَآءُ...

(نفس المصدر: ٣٧-٣٦)

ويبدو أثر هذه الأبيات في توجيه خطاب عمرو إلى الملك عمرو بن هند من إشارة إلى ما اتهمت به تغلب من نقص بقوله:

فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمٍ بِنْ بَكْرٍ بِنَقْصٍ فِي خُطُوْبِ الأَوَّلِينَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٠)

في هذه الفقرات الشعرية، نجد الشاعر يصور تبرمه من الزمن الذي حمل إليه وإلى قبيلته كثيرا من الأحزان والشجون، فقد انقلب الأصدقاء إلى أعداء يرمونهم بالتهم والأباطيل ويبالغون في ذلك وقد أخلطوا في ذلك بين بريء ومسيء. يتّضح أنّه من خلال تعداد الأحداث والبراهين التاريخية، ينوي إبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته ولا ينسى شيئا في هذا المجال.

٣-٣. تهميش النقاط السلبية للأنا

يقدم عمرو نفسه وقبيلته غير مقهورين؛ ويرى أن أسلافه شجعان في الحرب، بينما يعدد الحارث كثيرا من إخفاقات تغلبيين متمثلة بذكر الأشخاص والأمكنة التاريخية المشهورة كـ«جُنَاحُ كِنـدَةَ، جَرّى إيَادٍ، قَيـسٌ، جَـنـدَلٌ، الـحَـذّاءُ، جَـرَّى حَـنِيفَةَ، جَـرَّى قُضاعَةَ و.... في الفقرات السابقة أعلاه. بينما يخاطب عمرو، عمرو بن هند مفتخرا ببطولاتهم وانتصاراتهم واعتزازهم بخوض المعارك الدامية، متجاهلاً تلك الهزائم التي قد أحصاها الحارث بن حلزة وسجّلها في معلقته؛ ولكن يتجاوز عمرو عن هذه الانكسارات التي مني بها قومه التغلبيون؛ حيث يقول:

أَبَـــا هِنْـــدٍ فَـــلاَ تَعْجَـــلْ عَلَيْنَـــا ... وَأَنْظِـــرْنَا نُخَبِّـــرْكَ اليَقِيْنَـــا

بِأَنَّـــا نُـــوْرِدُ الـــرّايَاتِ بِيْضـــاً ... وَنُصْـــدِرُهُنّ حُمْـــراً قَـــدْ رُوِيْنَـــا

وَأَيّـــامٍ لَنَـــا غُـــرٍّ طِـــوَالٍ ... عَصَيْنَـــا المَلِـــكَ فِيهَـــا أَنْ نَدِيْنَـــا

مَتَـــى نَنْقُـــلْ إِلَـــى قَـــوْمٍ رَحَانَـــا ... يَكُوْنُـــوا فِـــي اللِّقَـــاءِ لَهَـــا طَحِيْنَـــا

(نفس المصدر: ٧٢-٧١)

من ناحية أخرى، نرى خطابًا يتمتع بقوة أكبر في الخطاب والسياسة والدهاء؛ حيث يدافع فيه الحارث عن قبيلته من خلال تقديم مشاهد حقيقية من دعمهم لقبيلة الملك عمرو بن هند في صراعاتهم الغابرة مع قبيلة تغلب، وتذكيره بالعداوة القديمة بينهم مشحونة بالبغضاء؛ حيث يقشر له العصا وبهذا التكتيك يهمش بعض النقاط السلبية في هويته. ويتجاوز عن خطيئات قبيلته في حروبها مع التغلبيين ومنها كليب بن ربيعة التغلبي الذي قتله جساس بن مرّة (ابن الأثير، بلاتا، ج١، ص٥٢٠)؛ وأدت هذه الخطيئة إلى اندلاع الحروب المتوالية بين القبيلتين التي اشتهرت بحرب البسوس في كتب التاريخ واستمرت زهاء اربعين عاما، قائلا:

مَـــن لَـــنَـــا عِـــنـــدَهُ مِـــنَ الخَيـــرِ ... آيَـــاتٌ ثَـــلاثٌ فِـــي كُلِّهِـــنّ القَضَـــاءُ

آيَـــةٌ شَـــارِقُ الشّـــقِيقَةِ إِذَا جَـــاءَت ... مَـــعَـــدٌّ لِـــكُـــلِّ حَـــيٍّ لِـــوَاءُ

وَحَـمَـلْـنَـاهُـــمُ عَـلَـــى حَـــزِمِ ثَـهـــلانِ ... شِـــــلالاً وَدُمّـــــيَ الأَنسَـــــاءُ

وَفَـكَـكْـــنَا غُـــلّ امـــرِيءِ القَـــيسِ عَنـــهُ ... بَـعـــدَ مَـــا طَـــالَ حَبسُـــهُ والعَنَـــاءُ

وَوَلَـــدنَا عمـــرو بـــنِ أُمّ أَنَـــاسٍ ... مِـــن قَـــرِيـــبٍ لَـــمّـــا أَتَانَـــا الحِبَـــاءُ

مِـثـلُـهَـــا تُـــخرِجُ النَصِـــيحةَ للقَـــومِ ... فَـــلاةٌ مِـــن دُونِـهَـــا أَفـــلاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣٥-٣١)

نجد الشاعر يتجه إلى الفخر الصريح، حيث وجدناه يذكر مناقب قبيلته وشجاعتها في الحروب. ثم يشير إلى صلة قرابته مع الملك، وكان يريد بذلك استمالته لقبول خطابه؛ إلى حيث يستشهد بثلاثة معالم تاريخية في منظور العلاقات التاريخية والسياسية بين القبيلتين. ويسعى لتغيير وجهة نظر عمرو بن هند حتى يحسم الموقف لصالحه ويقتلع أساس الفتنة. إذن فنراه يشبه علاقة القرابة بين هاتين القبيلتين بالصحراوين المتصلتين، أي أن علاقة القرابة بين هاتين القبيلتين واسعة جدًا وغير قابلة للاختراق. إذن فلا يمكن لعمرو أن يغير رأي الملك بالنميمة والهراء الغبي عنا بين يديه.

٣-٤. تهميش النقاط الإيجابية للآخر

يتحول استمرار الخطاب التفاخري بين الشاعرين إلى جانب يهمش النقاط الإيجابية لخطاب الرقيب؛ حيث يستخدم عمرو الهياكل اللغوية الحصرية المتمثلة في: (نَحْنُ الحَاكِمُـوْنَ، نَحْنُ العَازِمُـوْنَ، نَحْنُ التّارِكُوْنَ، نَحْنُ الآخِـذُوْنَ و.... من

الملاحظ أن عمرو يعتبر نفسه وقبيلته الحكام الحقيقيين الذين يعودون من الحرب بالملوك المقيدة بالسلاسل ولكن أبناء عمومته يرجعون بالغنائم الحربية والنساء الأسيرات أي أنهم يغتنمون الأموال ونحن نعف عند المغنم بل نأسر الملوك مقيدين:

وَنَحْنُ الحَاكِمُوْنَ إِذَا أُطِعْنَا ... وَنَحْنُ العَازِمُوْنَ إِذَا عُصِيْنَا

وَنَحْنُ التّارِكُوْنَ لِمَا سَخِطْنَا ... وَنَحْنُ الآخِذُوْنَ لِمَا رَضِيْنَا

وَكُنّا الأَيْمَنِيْنَ إِذَا التَقَيْنَا ... وَكَانَ الأَيْسَرِيْنَ بَنُو أَبِيْنَا

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسّبَايَا ... وَأُبْنَا بِالمُلُوْكِ مُصَفّدِيْنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٣)

يتضح أنّ عمر بن كلثوم والحارث ين حلزة كليهما لقد أنشدا قصيدتيهما الفخريتين في مواجهة بعضهما البعض في حضرة عمرو بن هند للعثور على رأي الملك الإيجابي؛ إذن فكان من الطبيعي أن يحاول كل شاعر متخاصم إلقاء الضوء على صفات قبيلته الإيجابية ويتجاهل ميزات قبيلة الرقيب الإيجابية؛ ولكن من الملاحظ أنّ عمرو بن كلثوم، بغض النظر عن الصفات الإيجابية الأخرى للبكريين ومؤهلاتهم الحماسية البارزة في هذا المجال، ينحصر كل الصفات الإيجابية في قبيلته فقط لا غيرها؛ حيث يشدد على هذا الانحصار من خلال إضافة «ال» على المسند الجمعى في مفردات كالحاكمين والعازمين و ... إلخ. هذا وقد أشار الحارث بن حلزة في معلقته الفخرية إلى الحروب الكثيرة التي هزم فيها التغلبيون وتحدث عن بطولات قبيلته بالإشارة إلى الأحداث والمناسبات التاريخية المستندة التي تنفي أقوال عمرو بن كلثوم في هذا المضمار.

وفي مجال آخر، نرى الحارث بن حلزة ينكر بطولات عمرو بن كلثوم وقبيلته رغم استحقاقهم للشجاعة والبطولة ويوجه شجاعته الانتقادية إلى التغلبيين، موبّخا إياهم بأنّهم لم يتمكنوا من الانتقام لدماء من قتلهم الأعداء. فيؤكد على هذه النقطة السلبية للتستر على النجاحات وبطولاتهم القبلية؛ حيث يقول:

مَا أَصَابُوا مِن تَغلَبِي فَمَطَلولٌ ... عَلَيهِ إِذَا أُصِيبَ الغَفَاءُ

إِذَ أَحَلّ العَلاةَ قُبّةَ مَيسُونَ ... فَأَدنَى دِيَارِهَا العَوصَاءُ

فَتَأَوّت لَهُ قَرَاضِبَةٌ مِن ... كُلِّ حَيٍّ كَأَنّهُم أَلقَاءُ...

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٩)

من خلال تطبيق المربع الأيديولوجي لفان دايك على نظام الخطاب في المعلقتين المدروستين، تبين أن كلا الشاعرين يركزان أكثر على إبراز النقاط الإيجابية للأنا. وقلما يتطرقان إلى النقاط السلبية للآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالي لإبراز النقاط الإيجابية إلى حقيقة أن الفخر هو نوع من الشعر الذي يحاول فيه المؤلف إبراز النقاط التفاخرية الإيجابية أكثر لنفسه بالمقارنة مع توظيف النقاط السلبية للرقيب قدر الإمكان.

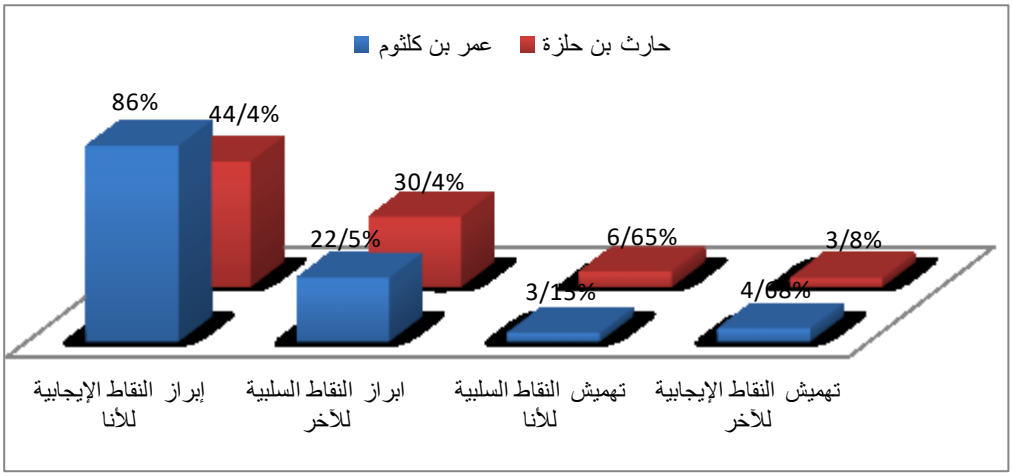

٤. المستويات الأساسية للخطاب

ههنا نتطرّق إلى المستوى الخاص للخطاب في المعلقتين:

تتيح البصيرة النقدية فهم كيف يمكن تصوير الحقائق بطرق مختلفة باستخدام عناصر لغوية مختلفة وأشكال الخطاب. وكيف يمكن التأثير على أنماط تفكير الأفراد وطريقة إدراكهم للقضايا الاجتماعية، وفي الواقع السيطرة على مواقفهم الفكرية. يمكن القول إنّ اللغة مؤلفة اجتماعية عملية تتعامل مع الأيديولوجيا والسلطة والتاريخ والمجتمع، ومن ناحية أخرى، فإن السياقات التاريخية وعلاقات القوة والسلطة والمؤسسات الاجتماعية والأيديولوجية تخلق النص والكلام. في المجال ذاته، يحتوي المستوى الخاص والأساسي للخطاب بين الشاعرين الجاهليين في معلقتيهما الفخرية على مستويات مختلفة مثل المعنى، والعنوان والتركيبات الشكلية، والقواعد، وأشكال الخطاب والتكافؤ والمقابلة وإنشاء المسافة أو الفاصلة والاستدلال (كسايي ورحيميان، ١٣٩١ش: ٢٢)، نقوم بشرح البعض من المستويات هذه، مع أمثلة على المعلقتين المعنيتين.

٤-١. معنى الخطاب

يعتقد فان دايك أن الأيديولوجيا يمكن أن تظهر في أي مكان في الخطاب، لكن محتوى هذه الأيديولوجية يتجلى مباشرة في المعنى (Van Dijk, ٢٠٠٦ :١٢٨) فهو يقدم جوانب مختلفة من المعنى، بما في ذلك العنوان ومقدار التفاصيل ومستوى وصف والتماسك والتكافؤ والمقابلة وإنشاء المسافة أو الفاصلة [بين ألأنا و الآخر]

٤-١-١. العنوان

إن العنوان هو بطاقة دعوة للقراءة يلعب دورا كبيرا في إثارة القارئ وجلب انتباهه إلى الموضوع الرئيسي وله دور حاسم في تغطية المعنى أو تقديمه. يمكن أن يظهر المعنى في عنوان الخطاب؛ لأن العنوان مرآة تعكس المعنى الخفي للنص الذي يمثل المخبأ والأيديولوجيا التي تحكم خطاب النص. بدأ عمرو معلقته بعبارات هجومية شاملة تدور على معنى واحد، هو قوة تغلب، وتفوقها المطلق؛حيث بدأ قصيدته بـــ«ألا هبي بصحنك فاصبحينا» فـ«ألا» حرف استفتاح يبدأ به الكلام والغاية من توظيفه هي تنبيه السامع إلى ما سيقوله المتكلِّم لإثباته وتحققه (الأستراباذي، ١٩٧٥م، ج٤ ص ٤٢١). فالشاعر يحاول أن يشرع كلامه بالقوة والهجوم والسلطة التي تعتبر لديه أقوى وسيلة لتوصيل وجهات نظره والتأثير على الآخر؛ إذن فنراه قد استفاد من الحروف الانفجارية كـ"الهمزة" و"ه" ليدخل موضوعه الرئيسي بحدة وقوة هجومية بالغة في بلاط عمرو بن هند. وفي مجال آخر، عندما نمعن النظر في معلقة الحارث لنلاحظ أنه أطلق على قصيدته عنوان «آذنتنا ببينها أسماءُ» التي تدل على فراق الأحبة وأسف

الشاعر الشديد من هذا الفراق. حيث بدأ معلقته بمصّوت «الف» في «آذنتا» بمعنى «الاعلان» بالبين الذي تخبرنا عن مصيبة مؤلمة خيبة مفاجئة. وهذا الحرف من الأصوات المجهورة التي فيها الاتّساع والليونة، فتكراره يساعد الشاعر في بيان ما في باله من المصائب والأحزان (أمرائي، ١٣٩٩ش: ١٠٨)؛ كأنّه يوحي بالشكوى والصراخ أمام عدوان أبناء عمومته، وفي الواقع يبيّن مدى شعره بالغيظ، ويكشف عن حقيقة مؤلمة تفجّر الانفعالات الكامنة في صدر الشاعر أمام هذا الظلم والطغيان. من الملفت للانتباه، أنّ عناوين معلقتي عمرو والحارث توفر للمتلقي إطارًا رمزيًا من الدال المركزي وتشكل صورته الذهنية لإبرازات النص وتهميشاته. بإمكاننا القول إنّه من خلال فحص الجوانب الخفية لتوظيف كلمات محددة في عنوان كلتا المعلقتين، يمكن للمرء أن يكشف الستار عن بعض حقائق الخطاب والأساليب التي يستخدمها الشاعران لإبراز أنفسهم وتهميش الآخرين.

٤-١-٢. مقدار التفاصيل ومستوى الوصف

يحاول منتج الخطاب التعبير عن المعنى بشكل أوضح من خلال الاهتمام بالتفاصيل والأوصاف المتعددة. إنّ كلتا المعلقتين تتضمنان العناصر والجزئيات الوصفية والتوضيحية التي يتوخى من وراءها كل من الشاعرين المتنافسين تسليط الضوء على إبرازات أنفسهما وقبيلتهما وتهميش إبرازات الآخرين. في المجال ذاته، عندما يفتخر عمرو بآبائه الماضيين بين يدي عمرو بن هند يركز على الجزئيات والتفاصيل في الخطاب ليجعل المعني وفكرته أكثر وضوحا؛ حيث يقول:

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ ... أَبَاحَ لَنَا حُصُوْنَ المَجْدِ دِيْنَا
وَرَثْتُ مُهَلْهِلاً وَالخَيْرَ مِنْهُ ... زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذّاخِرِيْنَا
وَعَتّاباً وَكُلْثُوْماً جَمِيْعاً ... بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِيْنَا
وَمِنّا قَبْلَهُ السّاعِي كُلَيْبٌ ... فَأَيُّ المَجْدِ إلاّ قَدْ وَلِيْنَا

(عمرو، ١٩٩١م: ٣٧)

ذكر عمرو بعض التفاصيل من أجل إيضاح مفهوم الفخر بقبيلته وإيصاله القوي إلى أذهان المتلقين، حيث ينوي إثبات تفوق قبيلته فخرا على قبيلة الرقيب عبر ذكر الجمل الوصفية وإحضار الشواهد المؤثرة في هذا المجال. في السياق ذاته، لا يكتفي الشاعر بذكر الافتخارات فحسب بل يحصي كذلك مصادر هذا الاعتداد متمثلة في جزئيات شخصية كجشمة بن بكر وعلقمة بن سيف ومهلهل و... وغيرهم من الأفراد الذين يتيحون فرصة للشاعر أن يتفضل على الآخرين (البكريين) ويتلذذ من ذكر الجزئيات التي يتغذى منها مجده وكبرياؤه.

في ناحية أخرى، يصف الحارث الأحداث التاريخية الكثيرة ويكثر فيها من ذكر التفاصيل التي هزم فيها التغلبيون ونقضوا العهود؛ فإنّه من خلال القيام بذلك، ينوي إعلان براءة قبيلته وتقديم قبيلة تغلب كمعتد وجائر تجاوز الحدود؛ حيث يحذرهم من مغبة الانزلاق على دهاليز التجبر والاستبداد والطغيان مذكرا إياهم نقض عهودهم الغابرة مع البكريين، قائلا:

وَاذكُرُوا حِلفَ ذِي المَجَازِ وَمَا ... قُدِّمَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلاءُ
حَذَرَ الجَورِ وَالتَعَدِّي وَهَل يَنـ ... ـقُصُ مَا فِي المَهَارِقِ الأَهوَاءُ
أَعَلَينَا جُنَاحُ كِندَةَ أَن يَغـ ... ـنَمَ غَازِيهُمُ وَمِنّا الجَزَاءُ
أَم جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنّا ... مِنكُمُ إِن غَدَرتُمُ بُرَآءُ
وَتَمَانُونَ مِن تَمِيمٍ بِأَيدِيهِم ... رِمَاحٌ صُدُورُهُنّ القَضَاءُ
تَرَكُوهُم مُلَحّبِينَ فَأَبُوا ... بِنَهَابٍ يَصَمُّ مِنهَا الحُدَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣٨-٣٦)

يشير الشاعر أولاً إلى معاهدة السلام التي وقعت بين قبيلتي بكر وتغلب في مكان يُدعى "ذو المجاز"، ثم يوبخ التغلبيين لخرقهم هذا العهد واتباعهم المفرط لأهوائهم النفسانية ونوازعهم الدنيوية. في السياق ذاته، يتطرّق الشاعر إلى جزئيات الأحداث والحروب التاريخية المهمة التي هُزم فيها التغلبيون، حيث ينوي بذكر هذه التفاصيل إدانة جرائم التغلبيين في طغيانهم وتجاوزهم بالحجج والأدلة التاريخية الصارمة.

٤-١-٣. التماسك والترابط

يبدو أن الحارث قد تمتع بتنوع الأفكار الشعرية وانتشارها في مواضع مختلفة، لذلك حاول جاهدًا لتحقيق ترابط الشعر وتماسكه، لكن هذه الميزة لم تتحقق لدى عمرو بشكل كامل؛ إذ إنّ صياغة معلقته مترابطة في بعض الأحيان، ويتم فصلها أحيانًا بسبب الاستطراد وانتقال الكلام وخروج فنيّ يأتي بمرونة ليست تدريجية ولا مفاجئة تقرب من الالتفات البلاغي؛ حيث نرى عمرو يفتتح معلّقته بذكر الخمر؛ بعيدا عن الأطلال:

أَلاَ هُبِّـــــي بِصَـــــحْنِكِ فَاصْبَحِينَـــــا وَلاَ تُبْقِـــــي خُمُـــــورَ الأَنْدَرِينَـــــا

(نفس المصدر: ٣٢)

ثم يفرغ من الكلام السابق وهو الخمر وينتقل إلى موضوع آخر وهو الظعينة في البيت التاسع من معلقته، قائلا:

قِفِـــي قَبْـــلَ التَّفَـــرُّقِ يَـــا ظَعِيْنَـــا نُخَبِّـــرْكِ اليَقِيْـــنَ وَتُخْبِرِيْنَـــا

(عمرو، ١٩٩١م: ٦٦)

وعلى الرغم من وحدة الخطاب الأنثوي منذ البداية، إلا أنّنا نرى أنّ المقدمة الحقيقية لمعلقته تبدأ فعليًا بالتحدث عن الظعائن في البيت التاسع من معلقته. ويتفق هذا الرأي مع القول بأن معلقة عمرو أنشدت في أوقات منفصلة ثم جمعها في واحدة، لأنه يستمر حتى البيت السادس والعشرين، ثم في البيت السابع والعشرين ينتقل إلى الموضوع الرئيسي (الفخر) عن طريق التشبيه، قائلا :

فَأَعْرَضَـــتِ اليَمَامَـــةُ وَاشْمَخَـــرّتْ كَأَسْيَـــافٍ بِأَيْـــدِي مُصْلِتِيْنَـــا

(نفس المصدر: ٦٠)

ثم يعود إلى الظعائن بعد أكثر من ثلاثين بيتا. ثم يختتم قصيدته برسالة فخر قوية، وهكذا تنقسم بنية شعره بين الخمر والظعينة والفخر وتعود إلى الظعينة ثم تشتد الكبرياء لنفسه ولقبيلته، وهذا الموضوع يزيل بنية القصيدة من التماسك والانسجام المنطقي في الغالب الأعمّ. أما بناء قصيدة الحارث فإنها تبدو أكثر ترابطا حيث أجاد تقسيم القصيدة إلى مقدمة وموضوع ولم يعد مرة أخرى إلى حديث المقدمة. ومعلقته تقسمت إلى مقدمة غزلية تبدأ بالوقوف بالديار والبكاء والاستذكار ووصف للناقة من البيت (١٤-١) ومضمون رئيسي يشمل: تكذيب أقوال التغلبيين (٢٠-١٥)، عدم اكتراث الشاعر وقومه بالوشايات (٣١ ـ ٢١)، ومفاخر البكريين (٣٩ ـ ٣٢)، ومخازي التغلبيين ونقضهم للسلم (٥٥ ـ ٤٠)، واستمالة الملك وذكر العداوة (٦٤ ـ ٥٩)، ومدح الملك (٦٨ ـ ٦٥)، وخدم البكريين للملك (٨٣ ـ ٦٩)، والقرابة بينهم وبين الملك (٨٥ ـ ٨٤).

٤-١-٤. التكافؤ والمقابلة

التقابل هو رابط دلالي آخر بين الكلمات الموجودة في البعد المعجمي في مجال تحليل الخطاب (فالك، ١٣٧٧: ٣٥٥). لذلك هناك نوع من التشابك اللغوي على جانبي التركيب الذي يتعارض من الناحية المفاهيمية مع بعضهما البعض بالتساوي (مويك، ١٩٩٣: ١١٣). لعل تركيب الأبيات عند عمرو يلفت آذاننا إلى ضمائر الجمع والتعبير الجمعي بصورة متكاملة متقابلة في البيت الواحد بقسمة ثنائية بين الشطرين لا تدع مجالا لمعنى يضاف إلى المعنى المكتمل في البيت، بصياغة تؤكد أنّ عاطفة عمرو

الجماعية، وانفعاله يقدمان صورة بليغة متكاملة (وحدة تركيب الشطرين مع المقابلة في المعنى) ومنها: (يتركون ما يسخطون ويأخذون ما يرضون - كانوا الأيمنين وكان أحلافهم الأيسرين- وصالوا وصال موالوهم - وعاد حلفاؤهم بالنهاب بينما عاد الشاعر وقومه بالملوك مصفدين) (يراجع: عبدالعاطي، ٢٠١٥م: ٣٢). وهكذا انقسم بناء البيت مع الحفاظ على بناء الجملة (نحن + جمع المذكر السالم). يقول:

وَنَحْـــــنُ التّـــــارِكُوْنَ لِمَـــــا سَخِطْنَـــــا وَنَحْـــــنُ الآخِـــــذُوْنَ لِمَـــــا رَضِيْنَـــــا

وَكُنّـــــا الأَيْمَنِيْـــــنَ إِذَا التَقَيْنَـــــا وَكَـــــانَ الأَيْسَـــــرِيْنَ بَنُـــــو أَبَيْنَـــــا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٨)

وفي موضع آخر يقول:

وَأَنّـــــا التّـــــارِكُوْنَ إِذَا سَخِطْنَـــــا وَأَنّـــــا الآخِـــــذُوْنَ إِذَا رَضِيْنَـــــا

وَأَنّـــــا العَاصِمُـــــوْنَ إِذَا أُطِعْنَـــــا وَأَنّـــــا العَازِمُـــــوْنَ إِذَا عُصِيْنَـــــا

(نفس المصدر: ٨٩)

وهنا أيضًا نجد صورة تقابلية تمثل التكافؤ بين الشطرين تمتد على هذه الأبيات، وتحافظ على بناء الجملة (أن + نا + جمع المذكر السالم) وأصبح هذا التركيب بهذا الحشد متصلا بعمرو مع الاحتفاظ بالعاطفة الجماعية والارتجال (يراجع: عبدالعاطي، ٢٠١٥م: ٣٢). ولكن في معلقة الحارث، تحدث العلاقة بين المعنى والخيال الفني في بعض المقاطع من خلال المواجهات الدلالية في نظام الخطاب عبر إكساء ثوب الغرابة على الخطاب ومنها: (الأَمْوَاتُ وَالأَحْيَـاءُ) و(الإِسقَـامُ وَالإِبـــرَاءُ) و(العَـزِيزُ وَالإِبـــرَاءُ) و(رَأْسُ طَـــوْدٍ وَحَـــرّةٌ رَجـــلاءُ) و... إلخ. هذا التقابل اللغوي له تأثير مباشر على معنى خطاب الحارث في معلقته؛ لأنّ المواجهة يمكن أن تجلب بعض الطبقات الأساسية للمعنى من الأعماق إلى السطح وتسهل فهمها للمخاطب.

٤-١-٥.إنشاء المسافة أو الفاصلة

يخلق مفهوم القوة مسافة أو يلغيها؛ وهذا يعني أنّه كلما زادت القوة بين المرسل والمرسل إليه، زادت المسافة بينهما، وكلما قلت القوة وزاد الارتباط بينهما، قلت المسافة بينهما (Walker, 2011: 362). إنّ استخدام الضمائر بدلاً من الأسماء في اللغة العربية، وكذلك استخدام المُعممات مثل الكل، نحن، وال الاستغراق، والذي يستخدم عمومًا لتضمين جملة جميع المعنيين (حيدا، ٢٠١٥: ٦٢) يعتبر إحدى الأدوات المعرفية الاجتماعية في تقديم قطب الأنا والآخر. في المجال ذاته، إنّ عمرو، للإشارة إلى الدال المركزي للخطاب (الفخر)، استخدم معمّمات مثل الكل، ضمير نحن وال الاستغراق لإبراز نقاطه الإيجابية وحصر الصفات المطلوبة في ضمير نحن الجماعي. وبمساعدة هذه الأدوات المعرفية، يؤكد على استقطاب نظام الخطاب التفاخري ويخلق فجوات عميقة بين قطبي الإبراز للأنا والتهميش للآخر؛ حيث يقول:

وَنَحْـــــنُ الحَاكِمُـــــوْنَ إِذَا أُطِعْنَـــــا وَنَحْـــــنُ العَازِمُـــــوْنَ إِذَا عُصِيْنَـــــا

وَنَحْـــــنُ التّـــــارِكُوْنَ لِمَـــــا سَخِطْنَـــــا وَنَحْـــــنُ الآخِـــــذُوْنَ لِمَـــــا رَضِيْنَـــــا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٣)

نلاحظ أن الشاعر قد ذكر مسندإليه «نحن» وقدمه للتعظيم أو تعينه في مقام المدح في جملة خبرية اسمية يراد بها إظهار الفخر والشجاعة (الهاشمي، 1384، ج ١، ص ٨٦). وكرر ضمير «نحن» تكرارا تاما ثماني مرات باعتبارها ضمير المتكلم الجمعي والذي يفيد تعظيم الذات والذات هنا هي القبيلة التي يمثلها الشاعر فالشاعر بهذا الضمير "نحن" الجماعي عظم قبيلته مفتخرا بها وممجدا لأبطالها، إذ إننا وبنظرة سريعة للمقاطع التي ذكر فيها هذا الضمير نستشف هذا التعظيم.

وفي مجال آخر، يستفيد كذلك من ضمير «نا» و«ال» قائلا:

بِأَنَّـــا المُطْعِمُـــوْنَ إِذَا قَدَرْنَـــا وَأَنَّـــا المُهْلِكُـــوْنَ إِذَا ابْتُلِيْنَـــا

وَأَنَّـــا المَانِعُـــوْنَ لِمَـــا أَرَدْنَـــا وَأَنَّـــا النَّـــازِلُوْنَ بِحَيْـــثُ شِئْنَـــا

(نفس المصدر: ٨٧)

في المقابل، إنّ الحارث لم يقم بإيجاد الفاصلة وخلق المسافة بين الأنا والآخر بهذه التقنية التي استخدمها عمرو؛ حيث لم يوظف معمّمات مثل الكل، ضمير نحن وال الاستغراق؛ بل نلاحظه يستخدم في قصيدته ضمائر المخاطب للإشارة إلى الدال المركزي (الدفاع ثم الفخر) لإبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته وتسليط الضوء على نقاطه الإيجابية. وهكذا تحدث عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر في شعر الحارث:

إِن نَبَشْتُـــم مَـــا بَيـــنَ مِـلـحَـــةَ فَـالـــ ـــصَاقِبِ فِيـــهِ الأَمـــوَاتُ وَالأَحَيَـــاءُ

أَو نَقَشْتُـــم فَالـنَّـقـــشُ يَـجـشَـمُـــهُ النَّـــاسُ وَفِيـــهِ الإِسقَـــامُ وَالإِبـــرَاءُ

أَو مَنَعـــتُم مَـــا تُســـأَلُونَ فَـمَـــن حُـــدِّ ثْـتُـمُـــوهُ لَـــهُ عَـلَـيـنَـــا الـعَـتـــلاءُ

هَـــل عَـلِـمـتُـــم أَيَّـــامَ يُنتَهَـــبُ النَّـــاسُ غِـــوَاراً لِـكُـــلِّ حَـــيٍّ عُـــواءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٨-٢٧)

يسعى الشاعر عبر توظيف ضمائر المخاطب إلى خلق المسافة بينه وبين بني تغلب. وبذلك يقصد خلق الاستقطاب بين الأنا والآخر؛ إلى حيث يعتبر نفسه وقبيلته بريئين تمامًا في قطب الأنا ويعتبرهم مخطئين مذنبين في قطب الآخر.

٤-١-٦. البنية الخبرية

تتكون كل جملة نسمعها أو نقرأها من جزأين يسمى الفاعل والفعل أو المبتدأ والخبر أو الموضوع والمحمول. تخبر كل جملة أخبارًا عن شخص ما أو شيء ما بشكل عام. فالمبتدأ و الفاعل في علم النحو يطلق عليهما في علم المنطق (الموضوع) و الخبر و الفعل عند النحاة يطلق عليهما في علم المنطق (محمول) (Van dijk, 2006: 130). في المجال ذاته، يسعى محلل الخطاب النقدي إلى إيجاد العلاقة بين الهياكل اللغوية والأيديولوجية الخفية وراء الخطاب حتى يكشف عن كيفية تمثيل الوظائف الاجتماعية للطبقات التحتية من الخطاب في الطبقات الفوقية. تتمثل إحدى هذه الطرق في معرفة بنية خبرية للخطاب ومكوناته، أي الموضوع والمحمول (المصدر نفسه: ١٣٠). يرى فان دايك أنّ موضوع الخطاب ومحموله هو إعادة إنتاج التفوق الاجتماعي؛ لذلك، يمكن أن تكون مفاهيم مثل السلطة والسيطرة والأيديولوجيا والهيمنة والجنسية والبنية الاجتماعية من بين المفاهيم الأساسية التي تشير إلى الموضوع والمحمول (أعظمي خويرد وعرب يوسف‌آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٣) في خطاب المعلقات الفخرية؛ يقول:

فَصَالُـــوا صَـــوْلَةً فِـــيْمَنْ يَلِيْهِـــمْ وَصُلْنَـــا صَـــوْلَةً فِـــيْمَنْ يَلِيْنَـــا

فَـــآبُوا بِالنِّـــهَابِ وَبِالسَّبَايَـــا وَأُبْـــنَا بِالمُلُـــوْكِ مُصَفَّدِيْنَـــا

إِلَيْكُـــمْ يَـــا بَنِـــي بَكْـــرٍ إِلَيْكُـــمْ أَلَمَّـــا تَعْـــرِفُوا مِنَّـــا اليَقِيْنَـــا

أَلَمَّـــا تَعْلَمُـــوا مِنَّـــا وَمِنْكُـــمْ كَتَـــائِبَ يَطّعِـــنّ وَيَرْتَمِيْنَـــا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٤-٨٣)

من ناحية أخرى، يتطرّق الحارث إلى خلق الاستقطاب؛ حيث يذكر عيوب قبيلة تغلب وخصائصها السلبية ويبرز نقاط قبيلته الإيجابية ويدافع عنها:

إنّ إخـوَانَنـــا الأَرَاقِـــمَ يَـغـلُـــونَ ... عَـلَـيـنَـــا فِـــي قَـيـلِـهِـــم إِخْـفَـــاءُ
يَـخـلِـطُـــونَ البَـــرِيءَ مِنّـــا بِـــذِي الـــ ... ـذَنـــبِ وَلا يَـنـفَـــعُ الخَـــلِيّ الخِـــلاءُ
زَعَمُـــوا أَنّ كُـــلّ مَـــن ضَـــرَبَ العِيـــرَ ... مُـــوَالٍ لَـنَـــا وَأَنَـــا الـــوَلاءُ
أَيّـهَـــا الـنَـاطِـــقُ الـمُـرَقِّـــشُ عَنّـــا ... عِـنـــدَ عمـــرو وَهَـــل لِـــذَاكَ بَقَـــاءُ
لا تَخلِنَـــا عَـلَـــى غِـرَاتِـــكَ إِنّـــا ... قَـــبلُ مَـــا قَـــد وَشَـــى بِـــنَا الأَعْـــدَاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٤-٢٣)

إنّ البنية النحوية المتشكلة من الموضوع والمحمول في الأمثلة المذكورة أعلاه تبرز كيفية استقطاب الأنا مع الأخر بحيث يتكون قطب الأنا في الفقرة الشعرية الأولى من موضوعات (نا- نا- نا- نا-)، بشكل أساسي في معارضة موضوع القطب الآخر (و- هم- و- كم- كم- انتم-انتم- كم)، وفي الفقرة الشعرية الثانية يتألف قطب الأنا من موضوعات (نا- نا- نا- نا- نا- نا- نا- نا) وموضوع قطب الآخر يشمل الضمائر: (و- هم- و- و- أنت- أنت - ك - هو). إنّ الممعن النظر في الموضوعات المستخدمة ليرى أنّ كلا الشاعرين قد أنشدا القصيدتين في اتجاهين متعاكسين مع بعضهما البعض، وهذه الازدواجية القطبية في شعرهما واضحة جدًا بحيث يمكن رؤيتها في تعدد الضمائر المستخدمة في النص في شكل الأنا الذي قد أدّى إلى تشويه هوية الرقيب (الآخر) وتهميشها. وأما فيما يخصّ بالمحمولات أو المسندات في الجمل فينطبق الشيء نفسه عليها، وقد أخذ كلا الشاعرين مسندات ثنائية القطب من أجل التفوق على منافسيهما في الأداء. وهكذا، من خلال الآليات المعجمية التي تسيطر على تماسك النص ومعناه، يتم التأكيد على إبراز سمات الأنا الإيجابية مقابل السمات السلبية للآخر.

٤-١-٧. التركيبات الشكلية

يقدم فان دايك الخطاب كشكل من أشكال استخدام اللغة، على سبيل المثال، في خطاب أو حتى بشكل عام، في لغة منطوقة أو طريقة التحدث. يجادل فان دايك بأنّ منتج الخطاب يستخدم الكلمات والأشكال التي تشير مباشرة إلى الأيديولوجية الكامنة وراء الخطاب (Van Dijk, 2002: 92). وفي المجال ذاته، إنّ تشابه البنى الشكلية المستخدمة لإثبات مفهوم الهوية والسلطة يجعل خطاب كلا المعلقتين الفخريتين أن يجد أرضية مشتركة ويكون له تصميمات خطاب متشابهة تخضع لعلاقات القوة والإيديولوجيا. إنّ إبراز بعض الكلمات والعبارات في النص كتكرار ضمائر المتكلم الجمعي «نا» (٦٥ مرة) و«نحن» (٨ مرات) يعتبر أحد التركيبات الشكلية لمعلقة عمرو. فهو يسعى إلى توحيد الصفوف والتلاحم الوطني والتماسك الداخلي لقبيلته بـ "الأنا "الجماعي، حيث أدّت هذه الضمائر المستخدمة في النص بشكل "الأنا "الجماعي إلى إبراز الميزات الإيجابية للأنا (عمرو وقبيلته) وتشويه هوية الآخر (الحارث وقبيلته) وتهميشها. ومنه ما يقول:

بِأَنّـــا الـمُـطْـعِـمُـــوْنَ إِذَا قَدَرْنَـــا ... وَأَنّـــا الـمُـهْـلِـكُـــوْنَ إِذَا ابْـتُـلِـيْـنَـــا
وَأَنّـــا الـمَـانِـعُـــوْنَ لِـمَـــا أَرَدْنَـــا ... وَأَنّـــا الـنّـــازِلُـوْنَ بِـحَـيْـــثُ شِـئْـنَـــا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٨)

والجملات الاسمية (٤٦) الدالة على ثبوت واستمرار هذا الفخر والأدوات الحصرية كـ«ال» (٢٠) الداخلة على المسند التي تفيد الحصر الصفة على الموصوف، مثل ما سبق أو ما جاء في البيت الآتي:

وَنَحْـــنُ الحَاكِمُـــوْنَ إِذَا أُطِعْنَـــا ... وَنَحْـــنُ العَازِمُـــوْنَ إِذَا عُصِيْنَـــا

(نفس المصدر: ٣٢)

وكذلك تكرار ضمائر المخاطب للتهميش الحارث وقبيلته (١٤) وتكرار الصفات السلبية المنسوبة إليهم (٣ مرات) والاستثناءات (٤) و... إلخ. كما وظف الشاعر الأفعال ذات الدلالة السالبة لإبراز النقاط السلبية للحارث وقبيلته، ومنها «فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُوْنَا، أَلاَ لاَ يَجْهَلَنّ أَحَدٌ عَلَيْنَا، فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا، أَلَمّا تَعْرِفُوا مِنّا اليَقِيْنَا، و...». من جانب آخر، استخدمت التراكيب الشكلية في معلقة الحارث الفخرية أقل تكرارا من معلقة عمرو. ومنها إبراز هوية الشاعر عبر توظيف ضمائر المتكلم الجمعي «نا» (٣٩مرة) و«نحن» (١مرة) الذي يدل على اعتداد الحارث بنفسه واستدعائه للمحاربين للدفاع عن قبيلته عبر التركيبات الشكلية الموجودة في معلقته، ومنها ما يكرره من الأنا الجماعي، ردا على جرائم بني تغلب:

إِنّ إِخـوَانَنـا الأَرَاقِـمَ يَـغـلُـونَ ... عَـلَـيـنَـا فِـي قَـيـلِـهِـم إِخْـفَـاءُ

يَـخـلِـطُـونَ البَـرِيءَ مِنّـا بِـذِي الـ ... ـذَنـبِ وَلا يَـنـفَـعُ الخَـلِيّ الخِـلاءُ

زَعَمُـوا أَنّ كُـلّ مَـن ضَـرَبَ العِيـرَ ... مُـوَالٍ لَـنَـا وَأَنَـا الـوَلاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٢٣)

فهو بهذه الفقرة الشعرية يسعى إلى الدفاع الشامل عن قبيلته بـ "الأنا "الجمعي المفعم بالفخر والاعتداد الذي قد أدّى إلى تماسك واتحاد قبليّ يبرز البراءة للأنا (الحارث وقبيلته) ويسلط الضوء على العدوان السافر للآخر (عمرو وقبيلته)؛ حيث نرى الشاعر ينفي ارتكاب الجرائم المنسوبة إليهم من قبل التغلبيين مستخدما أسلوب الاستفهام الإنكاري؛ فيقول:

أَعَـلَـيـنَـا جُـنَـاحُ كِـنـدَةَ أَن يَـغنَـمَ ... غَـازِيـهُـمُ وَمِـنّـا الـجَـزَاءُ

أَم عَـلَـيـنَـا جَـرّى إِيَـادٍ كَمَـا نِيـطَ ... بِـجَـوزِ الـمُـحـمّـلِ الأَعـبَـاءُ...

(نفس المصدر: ٣٧)

والجملات الاسمية (٤٣مرة) التي تدل على إثبات الفخر والاعتزاز وكذلك براءة الحارث وقبيلته من الجرائم المنسوبة إليهم والأدوات الحصرية كـ«تقديم ما حقه التأخير» (١٦مرة) مثل ما تضمنته العبارات المذكورة أعلاه (علينا) في الفقرة السابقة. وكذلك تكرار ضمائر المخاطب (١١مرة) وتكرار الصفات السلبية المنسوبة إليهم (١مرة) لتهميش هويتهم والاستثناءات (٤مرات) و... إلخ. هذا والحارث وظف الأفعال والصفات ذات العبء الدلالي السالب لإبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته، ومنها «إِخـوَانَنـا الأَرَاقِـمَ يَـغـلُـونَ علينا، فِـي قَـيـلِـهِـم إِخْـفَـاءُ، يَـخـلِـطُـونَ البَرِيءَ مِنّا بِـذِي الذنب، وَشَـى بِـنَا الأَعْـدَاءُ، مَـا أَصَـابُـوا مِـن تَغلَبِي فَمَطَـلـولٌ، فَـاتْـرُكُوا الطَيـخَ والتَعَاشِي و....

٤-١-٨. أشكال الخطاب

يؤدي وضع الكلمات في محور المجاورة للخطاب إلى تشكيل أشكال الخطاب، والتي تعطي من حيث الإيديولوجي تصميمًا خاصًا للنص (أعظمي خويرد وعرب يوسف‌آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٣). في كلتا معلقتي عمرو والحارث، فإنّ تجاور الكلمات في اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر، لقد جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة في هيمنة الخطاب. إنّ مرافقة وحدات مثل: «عَصَيْنَـا المَلِكَ، شَـذّبْنَا قَتَـادَةَ مَنْ يَلِيْنَا، فَمَـا يَـدْرُوْنَ مَاذَا يَتّقُوْنَـا، فَنَجْهَـلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا، نِلْنَـا تُرَاثَ الأَكْرَمِيْنَا، فَـأَيّ المَجْـدِ إِلاّ قَـدْ وَلِيْنَـا و... إلخ»، في معلقة عمرو تنقل المعنى والمفهوم الذي يقصده الشاعر / الفخر والاعتزاز بالنفس وبقبيلته. وفي المجال نفسه، فإنّ مرافقة وحدات مثل: «خَـطـبٌ نُـعـنَـى بِـهِ وَنُـسَـاءُ، إِنّ إِخـوَانَـنـا الأَرَاقِـمَ يَـغـلُـونَ علينا، وَلا يَـنـفَـعُ الخَـلِيّ الخِلاءُ، فَـاتْـرُكُوا الطَيـخَ والتَعَاشِي، حَذَرَ الجَورِ وَالتَعدّي، عَـنَـناً بَـاطِـلاً وَظُـلماً، أَعَـلَـيـنَـا جُـنَـاحُ كِـنـدَةَ؟!، أَم عَـلَـيـنَـا جَرّى إِيَادٍ؟! و... » في معلقة الحارث، يتماشى أيضًا مع النظام الدلالي للدفاع عن قبيلته ثم الفخر بها المتمثل في مرافقة وحدات مثل: «لَـم يَغُـرّوكُـم غُـرُوراً، فَـرَدَدنَـاهُـمُ بِـطَـعـنٍ، وَفَـعَـلـنَـا بِـهِـم

كَـمَا عَلِـمَ اللهُ، وَفَـكَكـنَا غُـلّ امـرِيءِ القَيسِ عَنـهُ، و....» يحتوي هذا التوافق في كلا المعلقتين على رؤية الشاعرين وإيدئولوجيهما الخاص للعالم، والتي تضفي الطابع المؤسسي على المادة الخام للتجربة في عالم ذي معنى في ذهن المخاطبين. في الواقع، تمكن كل من عمرو والحارث من خلال مرافقتهما لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب. لذلك، من خلال التأكيد على معنى هذه الوحدات، أوجدوا وحدة موضوعية ولغوية خاصة.

٤-١-٩. الاستدلال

يحاول منتج الخطاب تقوية كلماته من خلال الاستشهاد بأسباب كافية وأدلة تاريخية من أجل السيطرة على سلطته وأيديولوجيته بهذه الاستراتيجية (Van Dijk, 2006: 133). إنّ الاستدلال، بالإضافة إلى كونه أحد طرق بناء الثقة في المخاطب، يتشكل أيضًا من أجل تقديم مطالبة ضد الآخر وإثبات هوية الأنا (عشير، ٢٠٠٦: ١٣٦). في معلقة عمرو، قدمت حفنة من الحجج التاريخية لإثبات الادعاءات التي تتماشى مع نقاطه الإيجابية وتهميش نقاط الآخر (الرقيب) الإيجابية، منها ما يقول فيه:

وَنَحْـــنُ غَـــدَاةَ أَوْقِـــدَ فِـــي خَـــزَازَى ... رَفَـــدْنَا فَـــوْقَ رِفْـــدِ الرّافِدِيْنَـــا

وَنَحْـــنُ الحَابِسُـــوْنَ بِـــذِي أَرَاطَـــى ... تَسَـــفُّ الجِلّـــةُ الخُـــوْرُ الدّرِيْنَـــا

(عمرو، ١٩٩١م: ٨٢)

حاول عمرو تقوية أقواله بالإشارة إلى أمكنة تاريخية وأدلة واضحة، ليتجاوز بهذه الاستراتيجية، رقيبه في السلطة والأيديولوجيا. فإنه من خلال الإشارة إلى مساعدة حلفائهم في ناحية موسومة بـ«خزازى وذي أراطي»، يهدف إلى استعلاء (الأنا) بشكل بارز وتهميش موقف الرقيب (الآخر).

لكن وظيفة الخطاب هذه مختلفة بالنسبة إلى الحارث ونظام خطابه. وحجج الحارث في معلقته أعلى بكثير من حجج عمرو. لأنه أتبع سياسة خاصة معتمدة على البراهين العقلانية التي تتطلب في كل بحث واستقصاء ليستميل بذكرها قلب الملك ويقبض عليه، إذن فتطرّق إلى العلاقات التاريخية العريقة بين قبيلته وقبيلة عمرو بن هند عبر تذكر تلك الأحداث التاريخية المشهورة، ومشيرا إلى صلة قرابته بالملك؛ حيث يقول:

مَـــن لَـــنَـــا عِـــنـــدَهُ مِـــنَ الخَيـــرِ ... آيَـــاتٌ ثَـــلاثٌ فِـــي كُلِّهِـــنّ القَضَـــاءُ

آيَـــةٌ شَـــارِقُ الشّـــقِيقَةِ إِذَا جَـــاءَت ... مَـــعَـــدٌّ لِـــكُـــلِّ حَـــيٍّ لِـــوَاءُ

وَحَـمَـلـنَـاهُـــمُ عَـلَـــى حَـــزمِ ثَـهـــلانِ ... شِـــــلالاً وَدُمّـــــيَ الأَنسَـــــاءُ

وَفَـكَكـــنَا غُـــلّ امـــرِيءِ القَـــيسِ عَنـــهُ ... بَـعـــدَ مَـــا طَـــالَ حَبسُـــهُ والعَنَـــاءُ

وَوَلَـــــدنَا عمـــرو بـــنِ أُمِّ أَنَـــاسٍ ... مِـــن قَـــرِيـــبٍ لَـــمّـــا أَتَانَـــا الحِبَـــاءُ

مِـثـلُـهَـــا تُـــخرِجُ النَصِـــيحةَ للقَـــومِ ... فَـــلاةٌ مِـــن دُونِـهَـــا أَفـــلاءُ

(الحارث، ١٩٩١م: ٣٥-٣١)

ومن ناحية أخرى، نراه يشير إلى أماكن وأزمنة تاريخية مختلفة تكشف عن إخفاقات بني تغلب،وتذكرنا تفاصيلها التاريخية المحفورة ولكن المستندة والدقيقة، قائلا:

أَعَـلَـيـنَـــا جُـنَـــاحُ كِـنـــدَةَ أَن يَـغنَـــمَ ... غَـــازِيـــهُـــمُ وَمِـــنّـــا الـــجَـــزَاءُ

أَم عَـلَـيـنَـــا جَـــرّى إِيَـــادٍ كَمَـــا نِيـــطَ ... بِـجَـــــوزِ الـمُـحـمّـــــلِ الأَعـبَـــاءُ

أَم جَـنَـايَـــا بَـنِـــي عَـتِـيـــقٍ فَـإِنّـــا ... مِـنـكُـــم إِن غَـــدَرتُـــم بُـــرَآءُ

وَثَـمَـانُـــونَ مِـــن تَـمِـيـــمٍ بِأَيدِيهِـــم رِمَـــــاحٌ صُـــدُورُهُـــــنّ الـقَـضَـــــاءُ
أَم عَلَينَـــا جَـــرّى قُضَـــاعَةَ أَم لَيـــسَ عَـــلَـيـنَـــا فِـــي مَـــا جَـنَـــوا أَنـــدَاءُ
وَهُـــوَ الـــرّبُّ وَالشّهِـيـــدُ عَلَـــى يَـــومِ الـحَـيـارَيـــــنِ وَالـبَـــــلاءُ بَـــــلاءُ

(نفس المصدر: ٣٧-٣٦)

النتائج

وفقًا لمربع فان دايك الأيديولوجي، تبين أنّ كلا الشاعرين عبر خلق الاستقطاب الجماعي بين الأنا والآخر، يركزان أكثر على إبراز النقاط الإيجابية للأنا. وقلما يتطرقان إلى النقاط السلبية للآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالي لإبراز النقاط الإيجابية إلى حقيقة أنّ الفخر هو نوع من الشعر الذي يحاول فيه المؤلف إبراز النقاط التفاخرية الإيجابية أكثر لنفسه بالمقارنة مع توظيف النقاط السلبية للرقيب.

استنادًا إلى مربع فان دايك الأيديولوجي، إنّ الأنا الفردية عند كلا الشاعرين الجاهليين قليل وجودها في خطابهما بالمقارنة إلى الأنا الجماعية التي تدل على الانسجام والاتحاد والتماسك القبليّ.

بدأ عمرو عنوان معلقته بعبارات هجومية شاملة تدور على معنى واحد، هو قوة تغلب، وفوقها المطلق. ولكن عنوان معلقة الحارث يوفر للمتلقي إطارًا رمزيًا من الدال المركزي وهو الدفاع ثم الفخر.

إنّ تجاور الكلمات في اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر في كلتا المعلقتين، لقد جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة في هيمنة الخطاب. في الواقع، تمكن كل من عمرو والحارث عبر مرافقتهما لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب.

إنّ تشابه البنى الشكلية جعل خطاب كلا المعلقتين ذا أرضية مشتركة له تصميمات متشابهة تخضع لعلاقات القوة والإيديولوجيا. ولكن هذه التراكيب الشكلية في معلقة الحارث الفخرية أقل تكرارا من معلقة عمرو.

وظف عمرو الأفعال والصفات ذات الدلالة السالبة لإبراز النقاط السلبية للحارث وقبيلته كما استخدم الأفعال والصفات ذات العبء الدلالي السالب لإبراز النقاط السلبية لعمرو وقبيلته. وهذا التراكيب الشكلية في معلقة الحارث الفخرية أقل تكرارا من معلقة عمرو.

بينت الدراسة أنّ الخصومة القائمة بين القبيلتين (تغلب وبكر) هي السبب الرئيس في كثرة الوسائل الحجاجية في معلقتي الشاعرين، فقد حاول الحارث أن يرد على ادعاءات عمرو غير الصحيحة عبر الآليات الحجاجية الكثيرة والمتنوعة.

المصادر و المراجع

المصادر العربية

- ابن الأثير، عزالدين (بلاتا)، الكامل في التاريخ، ج١، بيروت: دارصادر ودارابيروت.
- الأستراباذي، رضي الدين (١٩٧٥م)، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، ج٤، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمرو، ليبيا: جامعة قار يونس.

- أمرائي ، محمدحسن (١٣٩٩م) ، «دراسة أسلوبية إحصائية للمعلقات السبع في ضوء معادلة بوزيمان معلقة عمرو والحارث أنموذجا»، مجلة بحوث في للغة العربية وآدابها المحكّمة التابعة لجامعة أصفهان، لمجلد ١٢، العدد ٢٣ - الرقم المسلسل للعدد ٢٣، الشتاء ، صص ١٧٩ - ١٩٦ .
- امرائی، محمدحسن (١٣٩٩ش)، «المؤشرات الأسلوبيه والدلاليه فی الخطبه الحاديه عشره بعد المائه للإمام علی (ع) »، دراسات فی العلوم الإنسانية، دوره ٢٧، سال ١۴۴٢ق، شماره ٢، صص ٩٧-١٢۶.
- تغريد حسن أحمد عبد العاطي (٢٠١٥م)، «أثر شعر عمرو في قصيدة الفخر في الشعر العربي القديم»، مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة بنها، العدد ٤٠، أبريل ، صص ٢٠٥ - ٢٥٤ .
- الجندي، علي (١٩٩١م)، في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث الطبعة: طبعة دار التراث الأول.
- الحارث (١٩٩١م)،الديوان، **جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب**، ط ١، بيروت: دارالكتاب العربي.
- حيدا، سميرة (٢٠١٥م)، *«أسلوب الاستغراق والشمول: مغني اللبيب نموذجاً»*. جامعة مستغانم: حوليات التراث. السنة٩. العدد١٥. صص ٦١-٧٢.
- عشير، عبدالسلام (٢٠٠٦م)، **عندما نتواصل نغيّر: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**. ط١. المغرب: إفريقيا الشرق.
- عمرو (١٩٩١م)،**الديوان**، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يقوب، ط ١، بيروت: دارالكتاب العربي.
- قادرة ، غيثاء (٢٠١٩م)، *«قراءة سيميائية في معلقة عمرو»*، مجله جامعة البعث، العدد ٧٩، صص ٤٥ - ٧٦ .
- مفاز، عامر (٢٠١٥-٢٠١٦م)، **مكونات البيئة في العصر الجاهلي -دراسة أنثروبولوجية**، معلقة الحارث أنموذجا، تحت إشراف راضية عداد، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي- كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي.
- مويك، سي (١٩٩٣م). **المفارقة وصفاتها**. ترجمة: لؤلؤة، عبدالواحد. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الهاشمي، أحمد (١٣٨٦ش)، **جواهر البلاغه**، ط٣، قم: نشر بلاغت.

الفارسية

- اعظمی خويرد، حسن وعبدالباسط عرب يوسف‌آبادی (١٣٩٩ش)، «تحليل اجتماعی- شناختیِ گفتمان نقايض جرير و اخطل بر اساس مربع ون‌دايك»، ادب عربی، دوره ١٢، شماره ٢، صص ١٠٩-١٣٢.
- سلطانی، علی اصغر (١٣٨٤ش). «تحليل گفتمان به مثابة نظريه و روش». دانشگاه باقر العلوم: علوم سياسی. دورة٧. شمارة٢٨. صص ١٥٣-١٨٠. ١٣٨٤ش.
- فالك، جوليا اس (١٣٧٢ش)، زبان‌شناسی و زبان. ترجمه: غلامعلی‌زاده، خسرو. چ٢. مشهد: آستان قدس
- كسايی، عليرضا وجلال رحيميان (١٣٩١ش)، «بررسی كتاب انديشة اسلامی ١ از ديد تحليل گفتمان انتقادی». دانشگاه شيراز: انديشة دينی. دورة١۴. شمارة٢. صص ١٣١-١٥٣.
- وان دايك، تئون (١٣٨٢ش)، مطالعاتی در تحليل گفتمان: از دستور متن تا گفتمان كاوي انتقادی، ويراستار مهران مهاجر محمد نبوي، تهران: مركز مطالعات و تحقيقات رسانهها.

- اقبالي ، عباس وراضيه نظري (۱۳۹۳ش)، «بررسي ساختار دراماتيك شعر جاهلي (با تكيه بر معلقات سبع و دو قصيده از شاعران صعاليك) »، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد۳۲، خريف، صص ٦٥ – ۷۸ .

الإنجليزية

- Van Dijk, T. A. «Ideology and Discourse Analysis». Journal of Political Ideologies. 11(2), 115-140. 2006.
- Van Dijk, T. A.Ideology and Discourse: a Multidisciplinary Introduction. PamperFabra University press, Barcelona. 2000.
- Van Dijk, T.A. Principles of Critical Discourse Analysis: in Critical Discoursc Analysis, (ed.) M. Toolan, London: Routledge. 2002.
- Walker, V. «Codeswitching as a power and solidarity strategy in the foreign language classroom: an analysis of language alternation strategies utilized in a Portuguese-English higher education class». Innervate. Vol 3. PP. 362.363. 2011.

References

- Ibn al-Atheer, Izz al-Din (Plata), al-Kamil fi al-Tarikh, part 1, Beirut: Dar Sader and Dar Beirut.
- Al-Astrabadi, Radhi Al-Din (1975 AD), Al-Radhi's Commentary on Al-Kafia by Ibn Al-Hajeb, Volume 4, Editing, Correction and Commentary: a. Dr.. Youssef Hassan Amr, Libya: Qar Younis University.
- Eqbali, Abbas and Razia Nazari (1393 st), "Barasi will choose a dramatic pre-Islamic poetry (Ba Tekeh Bar Mu'alaqat Sab' and Du's Poem is a Poet of Two Braves)", Journal of the Iranian Scientific Society of Arabic Language and Literature, No. 32, Autumn, pp. 65-78.
- Amiri, Muhammad Hassan (1399 AD), "a statistical stylistic study of the seven suspensions in the light of Bozeman's Susquent Amr and Al-Harith equation as a model", Journal of Research in Arabic Language and Literature of the University of Isfahan, Volume 12, Issue 23 - Serial Number of Issue 23, Winter, pp. 179 - 196 .
- . Imra'i, Muhammad Hassan (1399 A.D.), "Stylistic and Semantic Indications in the One Hundred and Eleventh Sermon of Imam Ali (peace be upon him)", Studies in the Human Sciences, 27th session, Sal 142 BC, Shamara 2, pp. 97-126.
- Taghreed Hassan Ahmed Abdel-Aty (2015 AD), "The Impact of Amr's Poetry in the Poem of Pride in Ancient Arabic Poetry", Journal of the Faculty of Arts of Benha University, Issue 40, April, pp. 205-254.

- Al-Jundi, Ali (1991 AD), on the history of pre-Islamic literature, Dar Al Turath Library Edition: Dar Al Turath Edition I.
- Al-Harith (1991 AD), Al-Diwan, compiled, verified and explained by Emil Badi' Yaqoub, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Haida, Samira (2015 AD), "The method of immersion and inclusion: Mughni al-Labib as a model." University of Mostaganem: Annals of Heritage. year9. Issue 15. pp. 61-72.
- Asher, Abd al-Salam (2006 AD), When We Communicate, We Change: A Cognitive Pragmatic Approach to Communication Mechanisms and Pilgrims. i 1. Morocco: Africa, the East.
- Amr (1991 AD), Al-Diwan, compiled, verified and explained by Emil Badi Yaqoub, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Qadra, Ghaithaa (2019 AD), "A semiotic reading in Amr's suspension", Al-Baath University Journal, No. 79, pp. 45-76.
- Mafaz, Amer (2015-2016 AD), The components of the environment in the pre-Islamic era - an anthropological study, Al-Harith commentary as a model, under the supervision of Radhia Adad, Larbi Ben Mhidi University - Umm El Bouaghi - Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature.
- Muek, C (1993 AD). Paradox and its qualities. Translation: Pearl, Abdul Wahed. i 1. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
- Al-Hashimi, Ahmad (1386 A.D.), Jawaher Al-Balagha, 3rd Edition, Qom: Balaghat Publishing.
- Azami Khuwayrd, Hassan and Abd al-Basit Arab Yousefabadi (1399 A.D.), "Social Analysis - Shenakhty Gaftman Naqid Jarir and Akhtal on the basis of Wendyek Square", Arabic literature, session 12, Shamara 2, pp. 109-132.
- Soltani, Ali Asghar (1384 A.D.). "Gaftman's analysis is a theory and a rush". Daneshgah Baqir Al-Ulum: Political Science. Cycle 7. beep 28. pp. 153-180. 1384 st.
- Falk, Julia S (1372 st), Zbanshnasi and Zabban. Translated by: Gholamalizadeh, Khosrow. C2. Mashhad: Astan Quds.
- Kasaiyi, Alireza and Jalal Rahimian (1391 A.D.), "Parsi, an Islamic language book 1 Az-Dayd, a critical analysis of Gaftman." Daneshgah of Shiraz: Religious Debate. cycle 14. beep 2. pp. 131-153.
- Wan Dyck, Toon (1382 st), My Readings in Gaftman Analysis: The Constitution of a Critical Text of Ta Gaftman Kawi, Werastar Mehran Mohajer Muhammad Nabawi, Tehran: Center for Studies and Rasanha Investigations.

- Van Dijk, T. A. «Ideology and Discourse Analysis». Journal of Political Ideologies. 11(2), 115-140. 2006.
- Van Dijk, T. A.Ideology and Discourse: a Multidisciplinary Introduction. PamperFabra University press, Barcelona. ۲۰۰۰.
- Van Dijk, T.A. Principles of Critical Discourse Analysis: in Critical Discoursc Analysis, (ed.) M. Toolan, London: Routledge. 2002.
- Walker, V. Codeswitching as a power and solidarity strategy in the foreign language classroom: an analysis of language alternation strategies utilized in a Portuguese-English higher education class. Innervate. Vol 3. PP. 362.363. 2011.

فصلنامه علمی لسان مبین
(پژوهش زبان و ادب عربی)
شاپای چاپی : ۸۰۰۲-۲۳۵۵
شاپای الکترونیکی : ۲۶۷۶-۳۵۱۶

تحلیل گفتمان انتقادی معلقات سبع بر اساس نظریه شناختی اجتماعی ون دایک

(مطالعۀ موردی: دو معلقۀ عمرو و الحارث)*

محمدحسن أمرائی[1*]

[1*]استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه ولایت، ایرانشهر، ایران.

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
مقاله پژوهشی

دریافت:
۱۴۰۰/۰۱/۱۶

پذیرش:
۱۴۰۰/۰۳/۲۹

چکیده

تحلیل گفتمان انتقادی، رویکرد جدیدی در تحلیل گفتمان است که در دهه‌های اخیر در طیف وسیعی از تحقیقات در زمینه های ادبیات و روانشناسی مورد استفاده قرار گرفته است. همچنین یکی از گرایش‌های جدید زبانشناسی محسوب می‌شود که با نفوذ به لایه‌های زیرین و زبرین متون در تمام سطوح خرد و کلان، دیدگاه‌های ایدئولوژیک نویسنده را آشکار می‌کند و رابطه بین زبان، اقتدار و ایدئولوژی را توضیح می‌دهد. اگرچه رویکرد تحلیل گفتمان انتقادی رابطه بین زبان، قدرت، ایدئولوژی و گفتمان را در اولویت قرار می‌دهد، اما ادبیات ملت‌ها نیز می‌تواند در متن گفتمان انتقادی و نقد زبانی تحلیل و تفسیر شود. از همین لحاظ، معلقات سبع از جمله آثاری است که می‌تواند در زمینه تحلیل گفتمان انتقادی مورد مطالعه قرار گیرد. این موضوع، به تحلیلگر اجازه می‌دهد تا رابطه بین قدرت، ایدئولوژی و گفتمان را در این اشعار کشف کند. نظریه ون دایک یک مدل شناختی اجتماعی است که متن‌ها را به صورت انتقادی تحلیل می‌کند. تا جایی که از روش‌های مختلف تحلیل گفتمان برای مطالعه متن و استراتژی‌های گفتار و ارتباط آنها با حوزه‌های اجتماعی و سیاسی استفاده می‌کند. در همین زمینه، هدف این مقاله تحلیل اجتماعی شناختی دو معلقۀ عمرو بن کلثوم و حارث بن حلزۀ با تکیه بر مربع عقیدتی ون دیک در تحلیل گفتمان است که موضوع دو معلقه را از منظر تأیید منیت (خود) و به حاشیه بردن دیگری (رقیب) بررسی می‌کند. هر دو شاعر، تلاش کردند عزت فردی و جمعی خود را به اثبات برسانند و سلطه فردی و قبیله‌ای خود را بر رقیب ثابت کنند. نتیجه‌گیری نهایی نشان می‌دهد که برجسته کردن نکات مثبت خود در هر دو معلقه نسبت به برجسته کردن نکات منفی دیگری دارای بسامد بالاتری است. عمرو و حارث هر دو توانستند از طریق همراهی با برخی واحدهای زبانی ، سازگاری معنایی و کلامی قابل قبولی به سیستم گفتمان بدهند. بنابراین با تأکید بر معنای این واحدها ، وحدت زبانی و عینی خاصی ایجاد می کنند.

کلمات کلیدی: تحلیل گفتمان انتقادی، ون دایک، برجسته‌سازی، حاشیه‌رانی، معلقات، عمرو بن کلثوم، حارث بن حلزۀ.

استناد: أمرائی، محمدحسن. (۱۴۰۱). تحلیل گفتمان انتقادی معلقات سبع بر اساس نظریه شناختی اجتماعی ون دایک (مطالعۀ موردی: دو معلقۀ عمرو و الحارث)، سال سیزدهم، دورۀجدید، شمارۀ چهل و هفتم، بهار ۱۴۰۱: ۲۳-۱.

DOI: 10.30479/lm.2021.15332.3231

ناشر: دانشگاه بین‌المللی امام خمینی(ره)

حق‌مؤلف © نویسندگان.

* - پست الکترونیکی نویسندۀ مسؤول: m.amraei@velayat.ac.ir